



أدباء في محراب العلم

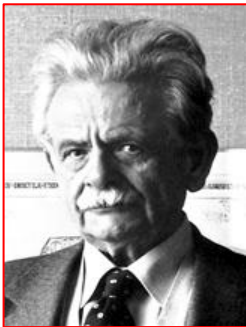
أ.د/ احمد بن حامد الغامدي

قسم الكيمياء - جامعة الملك سعود - الرياض

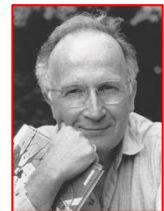


بالرغم من أنه في الغالب لا توجد علاقة تكاملية ولا حتى تجانسيه بين العلوم البحتة وبين الأدب والفنون، حيث كثيراً ما يحكم كلاً منها طريقة تفكير مختلفة، كما أن منظورها للأشياء متباين لدرجة أن العالم والأديب البريطاني الشهير تشارلز سنو Snow وصف حالة الانفصام بين الاتجاه العلمي والاتجاه الأدبي كما لوأنهما ثقافتين مختلفتين ومنفصلتين وذلك كما ورد في مقال شهير نشره سنو في عام 1959 كان عنوانه الحضارتين (The Two Cultures) والذي نشر لاحقاً في كتاب ذائع الصيت. ومن طريف أقوال سنو في تشخيص حالة التنافر والقطيعة بين العلم والأدب أنه يقول: "أن أغلب العلماء نادراً ما يقرؤون روايات الأديب الإنجليزي الشهير تشارلز ديكنز وفي المقابل فإن جميع الأدباء لا يعلمون شيئاً على الإطلاق عن القانون الثاني للثرموديناميك في علم الفيزياء".

الغريب في الأمر أنه يوماً بعد آخر تزداد قناعاتي بضعف وتهافت فكرة الانفصام والتنافر بين الأدب والعلم والشواهد الأدبية والتاريخية التي تثبت حالة التفاعل الإيجابي بين هذين العالمين من الكثرة بحيث يطول استعراضها. وخير مثال على ذلك ما حصل في عام 1981 أثناء حفل توزيع جوائز نوبل حيث التقى الأديب العالمي إلياس كينتي Elias Canetti الروائي والكاتب المسرحي والحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1981، حيث تقابل في تلك المناسبة مع أن



الكيميائي الأمريكي روالد هو فمان Roald Hoffmann أستاذ الكيمياء بجامعة كورنيل والحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء في تلك السنة. بقي أن نعرف أن

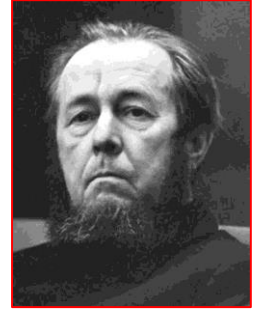


الأديب إلياس كينتي السابق الذكر كان في الواقع حاصل أصلاً على درجة الدكتوراه في الكيمياء عام



1929 من إحدى الجامعات النمساوية، بينما في المقابل نجد أن العالم روالد هو فمان بالإضافة لتمييزه الواضح في الكيمياء كان له بعض الإلمام والاهتمام بالأدب والشعر حيث أنتجت موهبته الأدبية خمسة دواوين شعرية بالإضافة لتأليفه لعدد من الأعمال المسرحية.

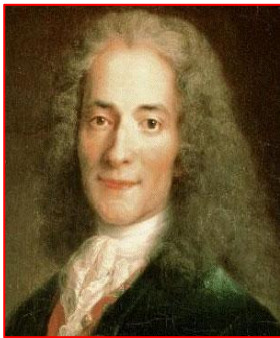
والمثال الآخر الجدير بالذكر فهو ما حصل لعالم الرياضيات البريطاني الشهير برتراند راسل أستاذ علم الرياضيات في جامعة كامبريدج العريقة والفيلسوف والمفكر العالمي المشهور والذي بسبب أسلوبه الرائع في الكتابة تم منحه جائزة نوبل في الأدب عام 1950 تقديراً لكتاباته المهمة والمتنوعة التي دافع فيها عن المثاليات الإنسانية البطولية وحرية الفكر. وعلى ذكر الرياضيات وجائزة نوبل في الرياضيات أليس جديراً بالملاحظة أن الأديب الروسي ألكساندر سولجينيتسن Solzhenitsy الحاصل على جائزة نوبل للأدب في عام 1970 والذي يعتبر حالياً أشهر الأدباء الروس في العصر الحديث كانت دراسته الجامعية في مجال علم الرياضيات وبعد خروجه من المعتقل عام 1956



عمل لفترة من الزمن كمدرس للرياضيات. ومن هذه الأمثلة السابقة والأمثلة المسطرة بالأسفل ألا يحق لنا أن نشكك بوجود فصام نكد بين عالمي (الأدب) و(العلم)!

في الواقع العديد منا معاشر العلماء والباحثين في المجال العلمي والتقني ربما يعلم أن بعض مشاهير العلماء مثل ابن سينا والرازي وابن النفيس وكوبرنيكوس ولافوازيه وهمفري دافى بالرغم من تسنهم للمكانة العالية في (حضارة العلم) إلا أن لكل منهم تجربة فريدة في (دنيا الأدب) فبعضهم كان يكتب الشعر وبعضهم ألف الروايات الأدبية والأعمال المسرحية. لكن في المقابل ليت شعري كم منا يعلم أن بعض مشاهير الأدباء والشعراء كانت لهم اهتمامات بالعلم والتقنية لدرجة أنهم قاموا بإجراء تجارب علمية فكان لهم بذلك نوع تنسك وتبتل في محارب العلوم والتقنية.

الأدباء العلماء

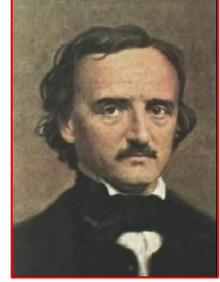


من أو ضح الأمثلة على ذلك نجد الأديب والشاعر الكبير الألماني جوتيه ومنذ بواكير شبابه كان متعلق بالعلوم فعندما كان في سن التاسعة عشرة كان يجري التجارب الكيميائية على موقد صغير بناه بنفسه وكان يجري تجارب لإنتاج الأملاح الطبية بل حتى وإجراء التحليل الكيميائي لمياه الآبار. واستمر



هذا الانجذاب العلمي لدي جوتيّه طوال عمره لدرجة أن نجده وهو في سن الستين يظن أنه بسبب كتابه الذي نشره عام 1810 عن دراسته لعلم الضوء والذي سماه (نظرية في الألوان)، سوف تتذكره الأجيال القادمة وليس بسبب إنتاجه الأدبي. وأما الأديب الفرنسي الذي لا يقل شهره وهو المشاغب الكبير فولتير فقد دفعه هو الآخر اهتمامه بالعلوم لأن يستجيب عام 1738 لإعلان الأكاديمية الفرنسية للعلوم عن جائزة مالية لأفضل مقالة علمية تناقش طبيعة النار وهو موضع محوري في الكيمياء والفيزياء في تلك الفترة. وهنا نجد فولتير يجري مجموعة من التجارب العلمية لحل هذه المشكلة العلمية وقد كانت تعاونه في هذه التجارب عشيقته الشهيرة مدام إميلي دوشاتلييه. وبالرغم من أن بحث فولتير لم يفز بالجائزة المطموح بها إلا أنه كان من الجودة العلمية التي أهلتها ليتم نشره مع ثلاثة مقالات فازت بالجائزة. ومن دلائل ارتباط فولتير بالعلوم اهتمامه الكبير بفكر وإنتاج العالم البريطاني الأسطورة إسحاق نيوتن لدرجة أن فولتير ألف واحداً من أهم كتبه الفكرية والذي أسماه (عناصر فلسفة إسحاق نيوتن).

وهذا الروائي الروسي الأكثر شهرة دوستوفسكي صاحب روائع الروايات الروسية الخالدة مثل (الجريمة والعقاب) و(الأخوة كارامازوف) كان له نوع ارتباط بالعلم والهندسة على وجه الخصوص حيث درس في الأكاديمية العسكرية الهندسية وكانت أول مهنة له أن عمل كمهندس عسكري. ومن روسيا نتقل إلى الولايات المتحدة حيث نجد الشاعر والروائي الأمريكي الشهير إدغار آلان بو Edgar Poe أحد أبرز وأهم رواد الأدب الأمريكي في القرن التاسع عشر نجده بالإضافة لكتابته للروايات القصصية والقصائد الشعرية يقوم كذلك بنشر بعض المقالات المبسطة ذات الطابع العلمي وخصوصاً في مجال علم الفلك (له محاضرة مشهورة كان عنوانها: حول نشأة الكون). ولهذا وإلى درجة ما يمكن



اعتبار إدغار أحد هواة العلم في منتصف القرن التاسع عشر. ومن منا لم يستمتع في صباه (أو حتى في شبابه) بقراءة رواية (جزيرة الكنز) للأديب والشاعر الأسكتلندي روبرت ستيفنسون Stevenson (مؤلف الرواية الشهيرة كذلك: الدكتور جيكل والسيد هايد) لكن تجدر الإشارة إلى أن دراسة ستيفنسون الجامعية في جامعة أدنبرة في عام 1876 كانت في تخصص الهندسة وقد عمل بعد تخرجه لفترة من الزمن في حقل بناء الفنارات البحرية.

والكاتب والأديب البريطاني لويس كارول المعروف في دنيا الأدب بروايته الشهيرة (أليس في بلاد العجائب) كان متفوقاً في علم الرياضيات لدرجة أنه كان يعمل كمحاضر في علم الرياضيات في جامعة أكسفورد العريقة ولقد استمر في هذا المنصب لمدة 26 سنة. بينما نجد الأديب الأمريكي الشهير جون شتاينبك Steinbeck الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1962 وصاحب الأعمال الأدبية الخالدة مثل (عناقيد الغضب Grapes of Wrath) واللؤلؤة ورواية شرقي عدن (East of Eden) نجده في أوائل شبابه يدرس علم الأحياء البحرية في جامعة ستانفورد الأمريكية العريقة لكنه في الواقع لم يكمل دراسته العلمية الجامعية حيث أنه ترك الجامعة عام 1925 دون الحصول على شهادة جامعية بالرغم من أنه أمضى خمس سنوات من عمره في تلك الدراسة الجامعية.

الأدباء الأطباء

وإذا كان بعض الأدباء مثل دوستوفسكي وروبرت ستيفنسون درسوا الهندسة في المرحلة الجامعية فتوجد وفرة هائلة من الأدباء العالميين على مر العصور درسوا الطب وامتهنوا المهن الصحية كمصدر لكسب الرزق. ومن مشاهير الأدباء الأطباء نجد الأديب والروائي الروسي الشهير أنطوان تشيخوف رائد القصة القصيرة والذي يعده الكثيرون أفضل من كتب القصة القصيرة على مستوى العالم. وفي الواقع فإن هذا الأديب الكبير كان يستعين على تسديد رسوم دراسته لعلم الطب في جامعة



موسكوبيع بعض إنتاجه الأدبي. وأما الأديب البريطاني آرثر كونان دويل الذي اشتهر كثيراً في دنيا الأدب باختراعه لشخصية المحقق الجنائي الأشهر شارلوك هو لمز كان في الأصل طبيب متخرج من جامعة أدنبرة وقد مارس مهنة الطب لعدة سنوات. والكاتب والمسرحي الألماني والفيلسوف الشهير جوهان شيلر Schiller الذي يُعد أحد أهم الشخصيات في الأدب الألماني وكما يعتبر مؤسس الأدب الألماني الحديث نجده قد بدأ في بداية شبابه في

دراسة الطب والغريب في الأمر أنه في نفس الوقت الذين كان يكتب في نهاية دراسته الطبية بحث وأطروحة التخرج كان يكتب كذلك أول مسرحية أدبية له. ومن الأمثلة الإضافية كذلك نجد الروائي والمسرحي البريطاني الشهير سومرست موم Somerset Maugham الذي يعتبر أحد أهم الأدباء البريطانيين في القرن العشرين ويعتبر من رواد القصة القصيرة وصاحب الروائع الأدبية الكبرى



مثل رواية (حد موسى) نجده قد درس الطب بكلية الطب بمستشفى سانت توماس بلندن وذلك عام 1892 لكنه في الواقع لم يمارس مهنة الطب حيث أنه هجر الطب وكرس نفسه للأدب وتفرغ للكتابة. وأخيراً وفي نفس السياق نجد أن الأديب والشاعر الأسكتلندي الشهير والتر سكوت Walter Scott الذي يعتبر أول من ابتدع الرواية الشعبية التاريخية في الغرب وأفضل من تناول موضوع الصراع بين الحضارات المتضادة في الأدب نجده يدرس الطب في جامعة أدنبرة عام 1783 ولكن على فترات متقطعة بسبب مرضه وإن كان لاحقاً تحول إلى مهنة المحاماة.

ظاهرة الأدباء العلماء في مجالها العربي

أما في عالمنا العربي والإسلامي فتكفي الإشارة إلى أن الشاعر الكبير عمر الخيام صاحب الرباعيات كان عالم فلك من الطراز الأول كما كان له إسهامات علمية هامة في مجال الرياضيات والطب. والشاعر العربي القديم الطغرائي صاحب القصيدة الشهيرة (لامية العجم) كان بدوره هو الآخر من علماء الكيمياء. بينما نجد من مشاهير الأطباء والشعراء والأدباء في العصر الحديث الشاعر الرقيق إبراهيم ناجي صاحب أشهر أغنية لأم كلثوم وهي قصيدة الأطلال. وكذلك من الأطباء والأدباء في نفس الوقت الروائي المصري الكبير يوسف إدريس والأديب الإسلامي الشهير نجيب الكيلاني صاحب الروايات الخالدة (عمالقة السماء وعذراء جاكرتا). والروائي المصري علاء الاسواني أحد أهم وأفضل الأدباء والكتاب العرب المعاصرين (صاحب رواية عمارة يعقوبيان ورواية شيكاغو ورواية نادي السيارات) كان طبيب أسنان وقد حصل على شهادة



الماجستير في طب الأسنان من جامعة إلينوي الأمريكية. وكذلك الروائية السعودية الشهيرة رجاء الصالح صاحبة الرواية المفصليّة في تاريخ الأدب السعودي (بنات الرياض) كانت هي الأخرى طبيبة أسنان بل أنها كذلك ذهبت لإكمال دراستها العليا في نفس مدينة شيكاغو. ومن الأطباء العرب الذين تميزوا في مجال الأدب الروائي المصري محمد المنسي قنديل صاحب رواية (يوم غائب في البر الغربي) والتي تم ترشيحها للجائزة العالمية للرواية العربية (جائزة البوكر العربية) وقد وصلت للقائمة القصيرة لهذه الجائزة عام 2010. والجدير بالذكر أن الروائي محمد قنديل هو في

الأصل طبيب تخرج من كلية الطب بجامعة المنصورة التي تعتبر من أشهر وأقوى كليات الطب في مصر ثم لاحقاً اعتزل مهنة الطب في مقابل التفرغ للأدب.

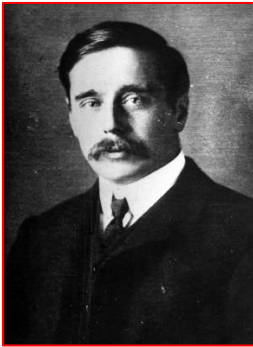
وبالنظر لشريحة أخرى من الأدباء العرب ذوي العلاقة بالعلم ولكن بعيداً عن مجال الطب نجد أن الأديب السعودي المعاصر والبارز الشاعر عبد العزيز خوجة (وزير الإعلام السعودي) هو في الأصل رجل أكاديمي حاصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء ودرس في جامعة الملك عبد العزيز بجدة. وكما هو معروف فإن الشاعر والكيميائي عبد العزيز خوجة هو كذلك دبلوماسي محنك وكان سفيراً للمملكة في عدة بلدان وهو في هذا يسير ربما على خطى الشاعر والأديب السوري الشهير عمر أبوريشه الذي كان هو الآخر بدوره سفيراً لسوريا في عدة بلدان كما أنه درس الكيمياء في مرحلة ما



من حياته. ومن العلماء الأدباء العربي نجد كذلك الروائي اليمني حبيب عبد الرب سروري مؤلف رواية (دملان) التي قال عنها الأديب اليمني الشهير عبد العزيز المقالح (بعد أن فرغت من قراءة دملان تكون لدي انطباع خشيت أن أبوح به وهو أن العلماء لا الشعراء هم الأقدر على كتابة الروايات). أما الإشارة للجانب العلمي في حياة حبيب سروري فهذا يتمثل بكل بساطة في كونه حاصل على شهادة الدكتوراه في الرياضيات التطبيقية ويعمل بروفيسوراً في علوم الكمبيوتر في المعهد القومي للعلوم التطبيقية في روان في فرنسا.

أدب الخيال العلمي همزة الوصل بين الأدب والعلم

وفي الختام لا يجدر بنا أن نختم هذا الموضوع المتشعب واللطيف دون الإشارة إلى الموضوع الذي يلتقي

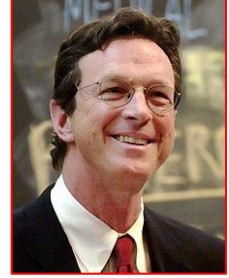


فيه بحر (الأدب) ببحر (العلم) ويحصل بينهما تمازج وتجانس شيق وهو مجال أدب الخيال العلمي (science fiction) والذي يتمحور حول القصص الغرائبية عن غزو الفضاء أو الصراع مع الروبوت (الرجل الآلي) أو السفر للماضي أو المستقبل أو حتى تسطير الأعمال الأدبية عن الظواهر البشرية الغريبة مثل التخاطر عن بعد. على كل حال أعتقد أنه في هذه المرة لن نستغرب كثيراً عندما نعلم أن جهابذة وأشهر رموز أدب الخيال العلمي هم

من الأدباء/العلماء وعلى رأسهم الأديب الإنجليزي الأشهر هـ ج ويلز H. Wells. G والذي يُعدّ



بحق أبوأدب الخيال العلمي وهو صاحب الروايات الشهيرة (آلة الزمن وحرب العوالم والرجل الخفي) وهذا الأديب هو رجل علم بامتياز حيث أنه نال في عام 1890 درجة علمية في علم الحيوان من جامعة لندن وعمل لاحقاً مدرساً لعلم الحيوان. أما أكثر أدباء الخيال العلمي إنتاجاً وشهرة في نفس الوقت فهو الكاتب الأمريكي المعاصر اسحق عظيموف Asimov الذي اشتهر بالعديد من الأعمال الأدبية عن الرجل الآلي من أشهرها المجموعة القصصية (أنا، روبرت I, Robert) ورواية (الرحلة العجيبة) وكلها تحولت لأفلام سينمائية ناجحة مادياً، وفي الواقع نجد أن عظيموف هو أستاذ جامعي مشهور في تخصص الكيمياء عمل لسنوات طويلة في جامعة كولومبيا.



وأما الروائي الأمريكي مايكل كريتشون Crichton فرمما لا يكون من الأدباء واسعي الشهرة لكنه قطعاً من أكثر أدباء الخيال العلمي ثراءً حيث تقدر عدد النسخ المباعة من رواياته بحوالي 200 مليون نسخة فهو مؤلف رواية الحديقة الجوراسيكية (حديقة الديناصورات Jurassic Park) والتي تحولت لفلم سينمائي شهير زاد الرواية والكاتب شهرة على شهرة وثورة مالية على ثورة. المدير بالذكر أن كريتشون له علاقة وثيقة بالعلم حيث أنه في الأصل طبيب متخرج من جامعة هارفرد الأمريكية العريقة كما أكمل لاحقاً بعض الدراسات في مجال الأبحاث البيولوجية.



أما التجربة العربية في مجال أدب الخيال العلمي فمن أشهر الأعمال العربية في هذا الشأن رواية (العنكبوت) ورواية (رجل تحت الصفر) وهي للأديب والعالم المصري الشهير مصطفى محمود وهو كما هو معروف طبيب أمراض صدرية متخرج من كلية الطب بمستشفى القصر العيني الشهير.



وكذلك نجد الأديب المصري والطبيب الشهير يوسف السباعي له بعض أعمال الخيال العلمي مثل روايته (لست وحدك) وهي تدور عن مركبة فضائية تفلع نحو كوكب المريخ. ومن الشخصيات الأدبية العربية التي تخصصت بشكل شبه كامل في أدب الخيال العلمي الروائي السوري طالب عمران والذي اشتهر بوفرة إنتاجه الأدبي في هذا الشأن وهو حاصل على شهادة دكتوراه في علم الرياضيات كما أنه محاضر في كلية الهندسة بجامعة دمشق. ومن أسماء رواياته وقصصه في الخيال العلمي نجد العناوين التالية: العابرون خلف الشمس، ليس في القمر فقراء، محطة الفضاء، السبات الجليدي وشحنة الدماغ.